كان مهتما ببحث أسباب فشله في تقديم ترجمة حرفية ناجحة لنصوصهم اللغوية، لذا فقد بدا له أن الترجمة الصحيحة والدقيقة ستكون كذلك إذا وضعت في السياق نفسه الذي قيلت فيه ومن هنا تأتي له الاهتمام بمسألة مقتضى أو سياق الحال[٣] (context of situation) فهو عنده الطريقة التي يجب أن تدرس بها معاني اللغة ولذا فقد عد المعطيات الاجتماعية بمثابة الخلفية التي يجب الرجوع اليها لتحديد القصد من البناءات والتراكيب التي قد توحي بأكثر من معنى (التي تحمل عدة دلالات أو الجمل الملبسة الدلالة) فالمعطيات الاجتماعية اشبه بأداة يستعملها الباحث اللغوي ليتمكن من فهم اشكال لغوية محددة وتحليلها.

ان اللغة عنده اداة للنشاط الاجتماعي والنشاط الإنساني المشترك ومعنى أي نمط منطوق يتحدد من خلال دراسة أثره في المحيط الذي استعمل فيه ولهذا فانه كان يردد أن المعنى ما هو الا الاستعمال إذ لو وجد أحد الأوربيين نفسه وسط مجتمع من التروريانديين وأعطى ترجمة حرفية لكلامهم لما ساعدهم ذلك على فهمهم بأكثر فيما لو بقيت العبارات من دون ترجمة، فمعنى العبارات لا يتضح إلا من خلال نمط الحياة التي هم جزء منها، ومن ثم، فإن دراسة اي لغة، لابد ان تكون مسبوقة بدراسة أخرى لأوجه النشاط العامة للمجتمع، الذي يستعمل هذه اللغة، لأن اللغة من وجهة نظره، ليست في الواقع إلا جزءا من هذا النشاط، وطريقا من طرائق السلوك.

ويعتقد أن رؤية اللغة كوسيلة لنقل الأفكار من رأس المتكلم الى راس السامع ليست سوى خرافة مظللة فالتكلم في الثقافات البدائية ليس (قولا) بل (عملا)، فاللغة باستعمالاتها البدائية حلقة اتصال في نشاط بشري جماعي انها نمط من العمل وليست أداة للتأمل، ويورد في معرض شرحه لرأيه بعثة صيد في التروبرياند فيقول: يتم توجيه مجموعة من قوارب الصيد وتنظيم حركتها باستمرار عن طريق الكلام...فالصرخة التي تعلن وجود كمية من الأسماك تعني إعادة تنظيم حركات القوارب من جديد. ومن جهة أخرى فإن الطريقة التي استعملت فيها اللغة الآن في كتابة هذه الكلمات هي من

الاستعمالات الفرعية والبعيدة للغة، فالكلمات هي أدوات ومعنى الأداة يكمن في استعمالها.